العدد 13 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية نيسان 2026
No. 13 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences April 2026
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

اختلاف علماء الكلام في مناظرات أصحاب المذهب الواحد ـدراسة عقدية تحليلية

أ.م.د. عبد الجبار عبد الستار عبد الكريم
كلية الإمام الأعظم الجامعة
abdaljabar.abdalsataar@imamaladham.edu.iq

ملخص:

يتناول هذا البحث ظاهرة اختلاف علماء الكلام داخل المذهب العقدي الواحد، من خلال دراسة المناظرات التي جرت بين المنتسبين إلى المدرسة الكلامية نفسها، وتحليل أسبابها وآثارها العقدية والفكرية، ويهدف هذا البحث إلى بيان أن الاتفاق على الأصول العامة للمذهب لا يمنع وقوع الخلاف في بعض المسائل التفصيلية أو في مناهج الاستدلال وطرق تقرير العقائد، وبيان مكانة المناظرات العلمية في التراث الإسلامي، ثم يستعرض أبرز أسباب اختلاف علماء الكلام داخل المذهب الواحد، مثل تفاوت القدرات العلمية، واختلاف المناهج العقلية، وتباين فهم النصوص الشرعية، وتأثر بعض العلماء بالبيئات الفكرية المختلفة, كما ويسلط الضوء على نماذج من المناظرات التي وقعت بين علماء المدارس الكلامية الواحدة، كالأشاعرة فيما بينهم أوالمذهب الماتريدي فيما بينهم، مع بيان المسائل التي دار حولها الخلاف، مثل : قضايا الصفات الإلهية، والتحسين والتقبيح العقليين، ومسائل القدر، وطبيعة الإيمان. ويحلل البحث الأساليب العلمية التي اتبعها المتناظرون في عرض آرائهم والرد على مخالفيهم. وتوصل الباحث إلى أن هذه الاختلافات لم تكن في الغالب خروجاً عن أصول المذهب، وإنما كانت اجتهادات علمية في فهم بعض الجزئيات أو في اختيار الأدلة وترتيبها, كما أظهر أن المناظرات الكلامية أسهمت في تنمية الفكر العقدي وإثراء التراث الإسلامي، مع التأكيد على ضرورة التزام آداب الحوار العلمي والبعد عن التعصب المذهبي, و أن اي الاختلاف بين علماء الكلام داخل المذهب الواحد يمثل ظاهرة علمية طبيعية تعكس حيوية الفكر الإسلامي وقدرته على النقاش والتجديد، ما دام ذلك الاختلاف منضبطاً بأصول الشريعة وقواعد البحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: اختلاف, علماء الكلام , مناظرات أصحاب, المذهب الواحد

Disagreements Among Theologians in Debates Within the Same School of Thought: An Analytical Doctrinal Study

Asst. Prof. Dr. Abdul Jabbar Abdul Sattar Abdul Kareem
Al-Imam al-Adham University College

Abstract:

This research examines the phenomenon of disagreements among theologians within the same theological school of thought. It does so by studying debates that took place among those affiliated with the same theological school, analyzing their causes and doctrinal and intellectual effects, The research aims to demonstrate that agreement on the general principles of the school does not preclude disagreement on specific issues, methods of argumentation, or approaches to establishing doctrines, It also seeks to clarify the role of scholarly debates in Islamic heritage and to review the most prominent reasons for disagreements among theologians within the same school, such as differences in scholarly abilities, varying intellectual methodologies, differing understandings of religious texts, and the influence of different intellectual environments on

some scholars, Furthermore, the research highlights examples of debates that occurred among scholars of the same theological school, such as the Ash'arites among themselves or the Maturidites among themselves. It identifies the issues around which the disagreements revolved, such as the attributes of God, the rational determination of good and evil, the issue of predestination, and the nature of faith, Finally, the research analyzes the scholarly methods employed by the debaters in presenting their views and refuting their opponents. The research concluded that these differences were not, for the most part, departures from the fundamental principles of the school of thought, but rather scholarly interpretations of specific details or the selection and thought and the enrichment of Islamic heritage, while emphasizing the necessity of adhering to the etiquette of scholarly dialogue and avoiding sectarian bias, Furthermore, the differences among theologians within the same school of debate and renewal, as long as such differences remain governed by the principles of Islamic law and the rules of scientific inquiry.

Keywords: differences , theologians , debates , within the same school of thought

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

إن علم الكلام من العلوم التي نشأت للدفاع عن العقيدة الإسلامية وإقامة الأدلة العقلية على أصول الإيمان، وقد شهدت العلوم الشرعية تطورات متعددة عبر التاريخ، وكان من أبرز مظاهر هذه التطورات ظهور الخلافات العلمية والمناظرات الفكرية بين علماء المذهب الواحد، وأن المناظرات الكلامية ولم تقتصر على المواجهة بين الفرق المختلفة، بل امتدت إلى داخل المدرسة الكلامية الواحدة؛ حيث اختلف الأشاعرة فيما بينهم، كما اختلف المعتزلة، وكذلك الماتريدية، في عدد من القضايا العقدية والمنهجية, وأن دراسة هذه المناظرات تكتسب أهمية خاصة؛ لكونها تكشف عن طبيعة التفكير الكلامي، وتبرز أثر الاجتهاد العقلي في بناء المذاهب العقدية، كما تسهم في فهم أسباب تطور الآراء الكلامية وانتقالها من مرحلة إلى أخرى.

أهمية البحث

١. بيان طبيعة الخلافات الداخلية بين علماء الكلام.
٢. بيان أثر المناظرات في تطوير المذاهب العقدية.
٣. الكشف عن الأسباب المنهجية والعقلية المؤدية إلى الاختلاف.
٤. أثر تلك المناظرات في التراث الإسلامي.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في بيان طبيعة الخلافات التي نشأت بين علماء الكلام المنتمين إلى المذهب الواحد، والكشف عن أسبابها وآثارها العلمية والعقدية.

أهداف البحث

١. التعريف بمناظرات علماء الكلام داخل المذهب الواحد.
٢. دراسة أسباب الاختلاف الكلامي.
٣. تحليل أبرز النماذج التطبيقية لهذه المناظرات.
٤. بيان آثارها العلمية والعقدية.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، من خلال تتبع أقوال علماء الكلام وتحليلها ومقارنتها.

خطة البحث

المبحث الأول: مفهوم الاختلاف الكلامي وأسبابه بين أصحاب المذهب الواحد

المطلب الأول: مفهوم المناظرة والخلاف في علم الكلام

المطلب الثاني: أسباب الاختلاف بين علماء الكلام

المطلب الثالث: مشروعية الاختلاف وآداب المناظرة

المبحث الثاني: نماذج من مناظرات علماء الكلام داخل المذهب الواحد

المطلب الأول: مناظرات المعتزلة فيما بينهم

المطلب الثاني: مناظرات الأشاعرة فيما بينهم

المطلب الثالث: مناظرات الماتريدية فيما بينهم

المبحث الثالث: آثار المناظرات الكلامية بين أصحاب المذهب الواحد

المطلب الأول: الآثار العلمية

المطلب الثاني: الآثار العقدية

المطلب الثالث: الآثار الحضارية والفكرية للمناظرات الكلامية

الخاتمة

المبحث الأول: مفهوم الاختلاف الكلامي وأسبابه بين أصحاب المذهب الواحد

المطلب الأول: مفهوم المناظرة والخلاف في علم الكلام

إن المناظرة تعد من أهم الوسائل العلمية التي اعتمدها علماء المسلمين في تقرير المسائل العقدية والدفاع عنها، وقد ارتبط ظهورها بنشأة علم الكلام وازدهاره, والمناظرة لغةً مأخوذة من النظر، وهو التأمل والتفكر، أما اصطلاحاً فهي مراجعة الكلام بين طرفين أو أكثر بقصد إظهار الحق وإقامة الحجة ودفع الشبهة وفق أصول وقواعد علمية محددة (الجرجاني، 1983، ص. 233).

بل اكتسبت المناظرة مكانة مركزية في علم الكلام؛ لأن هذا العلم نشأ أساساً للدفاع عن العقيدة الإسلامية والرد على المخالفين من أصحاب الملل والنحل والفلاسفة وأهل الأهواء، مما جعل الجدل العقلي والاستدلال المنطقي من أبرز أدواته المنهجية, ولذلك نجد أن كبار المتكلمين أمثال القاضي عبد الجبار والجويني والغزالي والرازي قد أولوا عناية كبيرة للمناظرات باعتبارها وسيلة لإثبات المعتقدات ودحض الاعتراضات (صبحي، 1969، ج1، ص. 45).

أما عن الخلاف الكلامي داخل المذهب الواحد فيُقصد به اختلاف العلماء المنتسبين إلى هذه المدرسة العقدية الواحدة في بعض المسائل الجزئية أو الأصول المنهجية مع بقائهم ضمن الإطار العام للمذهب، وهذا النوع من الخلاف لا يعني الانشقاق الكامل أو الخروج عن المذهب، بل يعبر عن وجود مساحة للاجتهاد العقلي والتفاوت في فهم الأدلة وتحليلها, وقد شهدت المدارس الكلامية الكبرى مثل : الأشعرية والمعتزلة والماتريدية خلافات متعددة بين علمائها، فند أن المعتزلة مثلاً انقسموا إلى مدارس فرعية كالبهشمية والبغدادية والبصرية، كما ظهرت بين الأشاعرة اختلافات واضحة في قضايا الصفات الإلهية والكسب والعلاقة بين العقل والنقل، فضلاً عن الخلافات التي نشأت بين علماء الماتريدية في بعض مسائل التحسين والتقبيح العقليين والإيمان (الشهرستاني، 2006، ج1، ص. 41–45).

كما يجد الباحثون المعاصرون أن هذه الاختلافات لم تكن دليلاً على ضعف المذاهب الكلامية، بل كانت مؤشراً على الحيوية الفكرية التي اتسم بها التراث الكلامي الإسلامي، إذ أسهمت في تطوير المناهج والأدلة وإعادة صياغة الكثير من القضايا العقدية بصورة أكثر عمقاً ونضجاً (صبحي، 1969، ج1، ص. 52).

ومن خلال تتبع التاريخ الفكري لعلم الكلام يتبين أن الاختلاف الداخلي كان جزءاً طبيعياً من عملية البناء المعرفي، وأن المناظرات العلمية بين علماء المذهب الواحد أسهمت في تنقيح الآراء وتحرير محل النزاع وتطوير أدوات الاستدلال العقلي.

المطلب الثاني: أسباب الاختلاف بين علماء الكلام

إن الخلافات لم تنشأ بين علماء الكلام من فراغ، بل كانت نتيجة لجملة من العوامل العلمية والمنهجية والفكرية التي أثرت في تكوين آرائهم واتجاهاتهم, ويمكن إجمال أهم أسباب الاختلاف فيما يأتي:

أولاً: تفاوت المدارك العقلية والقدرات الاجتهادية

إن التفاوت في القدرات العقلية والاجتهادية يعد من أبرز أسباب الاختلاف بين المتكلمين، و أن العقل يمثل الأداة الأساسية التي اعتمد عليها علماء الكلام في الاستدلال على القضايا العقدية، ومن الطبيعي أن تختلف نتائج التفكير باختلاف طرائق الاستدلال وقوة التحليل وأن هذا التفاوت قد أدى إلى ظهور تفسيرات مختلفة للنصوص الشرعية والمسائل العقدية، كما يظهر في اختلاف المعتزلة حول حقيقة الصفات الإلهية أو اختلاف الأشاعرة في حدود التأويل والتفويض، ويرجع جانب من هذه الاختلافات إلى تباين ملكاتهم العقلية ومناهجهم في النظر والاستدلال (القاضي عبد الجبار، 1965، ص. 67).

ويؤكد الرازي أن العقول البشرية وإن اشتركت في أصل الإدراك، فإنها تتفاوت في قوة الاستنباط وإدراك العلاقات بين الأدلة، الأمر الذي يؤدي بطبيعة الحال إلى اختلاف النتائج العلمية (الرازي، 1986، ج1، ص. 112).

ثانياً: اختلاف المناهج الاستدلالية

إن اختلاف المنهج يعد من أكثر العوامل تأثيراً في نشوء الخلاف الكلامي، فقد اعتمد بعض المتكلمين على البرهان العقلي المجرد، بينما سعى آخرون إلى التوفيق بين العقل والنقل، في حين مال فريق ثالث إلى تغليب النصوص الشرعية عند التعارض الظاهري, مثلاً إن المعتزلة أعطوا العقل سلطة واسعة في الحكم على القضايا العقدية، بينما حاول الأشاعرة تحقيق نوع من التوازن بين الدليل العقلي والنص الشرعي, كما أن داخل المدرسة الواحدة ظهرت اتجاهات متعددة في طريقة التعامل مع النصوص، وهو ما أدى إلى تباين النتائج الفكرية والعقدية (الجويني، 1950، ص. 35–39).

وقد أدى دخول المنطق الأرسطي في الدراسات الكلامية إلى اتساع دائرة الاختلاف؛ إذ تبنى بعض العلماء أدواته بصورة كاملة، في حين تحفظ آخرون على كثير من مبادئه، مما انعكس على طرائق الاستدلال والبرهنة (الغزالي، 1993، ص. 22).

ثالثاً: التأثر بالبيئات الفكرية والثقافية

كان للبيئات الفكرية التي عاش فيها المتكلمون أثر بالغ في تشكيل آرائهم الكلامية، فقد نشأت المدارس الكلامية في بيئات متنوعة شهدت احتكاكاً واسعاً بالفلسفات اليونانية والديانات الأخرى، مما أسهم في ظهور إشكالات فكرية جديدة استدعت معالجات كلامية مختلفة, ويلاحظ المؤرخون أن متكلمي البصرة مثلاً تأثروا بمناخ فكري يختلف عن ذلك الذي عاشه متكلمو بغداد، الأمر الذي أدى إلى ظهور اتجاهات مختلفة داخل الاعتزال نفسه, كما تأثر بعض الأشاعرة بالفلسفة المشائية أكثر من غيرهم، وهو ما يظهر بوضوح في كتابات الإمام الرازي ومن جاء بعده (الشهرستاني، 2006، ج1، ص. 58).

إذ أدى هذا التفاعل الحضاري إلى إثراء الفكر الكلامي من جهة، وإلى تعدد الاجتهادات والآراء داخل المدرسة الواحدة من جهة أخرى، مما جعل الاختلاف أمراً ملازماً لمسيرة علم الكلام عبر تاريخه الطويل.

المطلب الثالث: مشروعية الاختلاف وآداب المناظرة

إن الاختلاف العلمي من السنن الكونية التي جرت عليها حياة البشر عموماً والحياة العلمية خصوصاً, وقد أقر علماء الإسلام مشروعية الاختلاف الاجتهادي في المسائل الظنية التي تحتمل أكثر من وجه في الاستدلال، شريطة أن يكون منضبطاً بالأدلة الشرعية وقواعد البحث العلمي, وأن الغزالي قد أشار إلى أن الاختلاف الناتج عن الاجتهاد لا يعد مذموماً في ذاته، بل قد يكون وسيلة للوصول إلى الحق وإثراء المعرفة متى التزم المتناظرون بالموضوعية والإنصاف (الغزالي، 1993، ص. 174)، كما أكد الجويني أن تنوع الاجتهادات في المسائل النظرية لا يستلزم التبديع أو التفسيق ما دام الخلاف قائماً على أصول معتبرة (الجويني، 1950، ص. 410), ولأجل تحقيق الغاية العلمية من المناظرات وضع علماء الجدل مجموعة من الآداب والأخلاقيات التي ينبغي الالتزام بها، ومن أهمها:

أولاً: إخلاص النية

يقصد به أن يكون الهدف من المناظرة الوصول إلى الحق لا تحقيق الغلبة أو الشهرة, وقد شدد العلماء على أن فساد النية يؤدي إلى التعصب والانحراف عن المقصد العلمي للمناظرة.

ثانياً: طلب الحق وقبوله

من أهم آداب المناظرة استعداد المتناظر للرجوع إلى الصواب متى ظهر له الدليل، وعدم الإصرار على الخطأ بدافع الانتصار للنفس أو المذهب.

ثالثاً: تجنب التعصب المذهبي

التعصب من أخطر الآفات التي تفسد المناظرات العلمية؛ لأنه يحول النقاش من بحث عن الحقيقة إلى صراع لإثبات الذات والانتصار للمذهب.

رابعاً: احترام المخالف

أكد علماء الجدل ضرورة احترام الطرف الآخر وحفظ مكانته العلمية وعدم اللجوء إلى السخرية أو التجريح الشخصي، لأن ذلك يضعف القيمة العلمية للمناظرة ويحولها إلى جدل عقيم (ابن حزم، 1983، ج2، ص. 108), وقد أسهم الالتزام بهذه الآداب في إنتاج تراث كلامي ضخم اتسم بدرجة عالية من العمق العلمي والمنهجية الدقيقة، كما ساعد على تطوير الفكر العقدي الإسلامي عبر العصور المختلفة.

المبحث الثاني: نماذج من مناظرات علماء الكلام داخل المذهب الواحد

إن الخلاف الداخلي بين علماء المدرسة الكلامية الواحدة يعد من أبرز الظواهر العلمية التي رافقت تطور علم الكلام الإسلامي، إذ نشأت هذه الخلافات نتيجة تباين المناهج العقلية واختلاف طرائق الاستدلال وفهم النصوص الشرعية، الأمر الذي أدى إلى ظهور اتجاهات متعددة داخل المذهب الواحد, ولم تكن هذه المناظرات مجرد خلافات نظرية، بل أسهمت في تطوير البناء المعرفي للمذاهب الكلامية وصياغة مفاهيمها العقدية بصورة أكثر نضجاً وعمقاً, ويهدف هذا المبحث إلى دراسة أبرز نماذج المناظرات التي وقعت بين علماء المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وبيان أثرها في تطور الفكر الكلامي الإسلامي.

المطلب الأول: مناظرات المعتزلة فيما بينهم

إن مدرسة المعتزلة تعد من أكثر المدارس الكلامية الإسلامية التي شهدت خلافات داخلية واسعة، وذلك بسبب اعتمادها الكبير على النظر العقلي والاجتهاد الفكري، وقد أدى هذا الانفتاح العقلي إلى ظهور مدارس واتجاهات متعددة داخل الاعتزال، حتى أصبح تاريخ المعتزلة حافلاً بالمناظرات الفكرية التي تركت آثاراً واضحة في مسار المذهب (الشهرستاني، 2006، ج1، ص. 57).

أولاً: خلاف واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد

واصل بن عطاء (ت 131هـ) يعد المؤسس الأول للمذهب المعتزلي، بينما يُعد عمرو بن عبيد (ت 144هـ) من أبرز أعلامه الأوائل, ورغم اتفاقهما على الأصول العامة للمذهب، فإن المصادر الكلامية تشير إلى وجود اختلافات بينهما في بعض المسائل الفرعية المتعلقة بمبدأ (المنزلة بين المنزلتين) وحكم مرتكب الكبيرة, وقد انطلق الخلاف من محاولة تحديد الوضع العقدي للمرتكب للكبيرة؛ حيث رأى واصل بن عطاء أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً كاملاً ولا كافراً، وإنما في منزلة بين المنزلتين، بينما ناقش عمرو

بن عبيد بعض التطبيقات التفصيلية لهذا الأصل وآثاره في الأحكام الأخروية والدنيوية (القاضي عبد الجبار، 1965، ص. 615).

وقد أسهمت هذه المناقشات في ترسيخ أحد أهم أصول الاعتزال، كما أظهرت أن المدرسة المعتزلية لم تكن قائمة على التسليم المطلق لأقوال المؤسسين، بل أتاحت مساحة للاجتهاد والنقد الداخلي.

ثانياً: خلاف (إبراهيم النظام)مع جمهور المعتزلة

إن إبراهيم بن سيار النظام (ت 231هـ) يمثل أحد أبرز الشخصيات الفكرية في تاريخ الاعتزال، وقد عُرف بكثرة آرائه المستقلة التي خالف فيها جمهور المعتزلة، حتى عد مدرسة فكرية قائمة بذاتها داخل المذهب, ومن أشهر المسائل التي أثارت جدلاً واسعاً قوله(بنظرية الصرفة) في إعجاز القرآن، ومفادها أن إعجاز القرآن لكريم لا يرجع إلى ذاته وبلاغته فقط، وإنما إلى أن الله صرف العرب عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وقد رفض جمهور المعتزلة هذا الرأي وعدوه مخالفاً للمعنى الحقيقي للإعجاز القرآني (البغدادي، 2007، ص. 121).

كما خالف النظام المعتزلة في عدد من القضايا الأخرى، منها إنكاره لبعض مبادئ نظرية الجوهر الفرد، واعتراضه على بعض التصورات الكلامية المتعلقة بالحركة والسكون والعلاقة بين الأجسام والأعراض (الشهرستاني، 2006، ج1، ص. 71).

وتكشف هذه المناظرات عن مدى التنوع الفكري داخل المدرسة المعتزلية، كما تؤكد أن الاعتزال لم يكن نسقاً فكرياً جامداً، بل كان فضاءً واسعاً للاجتهاد العقلي والنقاش الفلسفي.

ثالثاً: خلاف أبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم الجبائي

إن الخلاف بين أبي علي الجبائي (ت 303هـ) وابنه أبي هاشم الجبائي (ت 321هـ) يعد من أشهر المناظرات الداخلية في تاريخ المعتزلة، وقد أدى إلى ظهور اتجاه جديد عُرف باسم البهشمية نسبة إلى أبي هاشم, وقد دار الخلاف بينهما حول عدد من المسائل الكلامية الدقيقة، وأبرزها نظرية الأحوال, فقد رأى أبو هاشم أن الصفات لا توصف بالوجود ولا بالعدم، وإنما هي أحوال قائمة بالذات الإلهية، بينما رفض أبو علي هذا التصور وعدّه غير منسجم مع أصول الاعتزال (القاضي عبد الجبار، 1965، ص. 149) , وأدى هذا الخلاف إلى انقسام المعتزلة إلى مدرستين رئيسيتين: البهشمية والأتباع التقليديين لأبي علي الجبائي، واستمر أثر هذا الانقسام عدة قرون، ولا سيما في اليمن وبعض مناطق العالم الإسلامي, وتظهر هذه المناظرة مستوى النضج الفكري الذي بلغته المدرسة المعتزلية، حيث لم تقتصر النقاشات على المسائل العامة، بل امتدت إلى أدق القضايا الفلسفية والكلامية.

المطلب الثاني: مناظرات الأشاعرة فيما بينهم

إن المدرسة الأشعرية تُعد من أكثر المدارس العقدية تماسكاً في تاريخ الإسلام ، إذ شهدت بدورها عدداً من الخلافات العلمية بين علمائها, وقد أسهمت هذه الخلافات في تطوير المذهب وانتقاله من مرحلة إلى أخرى.

أولاً: الخلاف في الصفات الخبرية

إن من أبرز القضايا التي شهدت نقاشاً واسعاً بين الأشاعرة مسألة الصفات الخبرية الواردة في النصوص الشرعية، مثل: اليد والوجه والاستواء , وقد اتجه بعض الأشاعرة الأوائل إلى التفويض، أي إثبات

النصوص مع تفويض الكيفية والمعنى التفصيلي إلى الله عز وجل ، بينما يجد متأخرو الأشاعرة ضرورة التأويل بما ينسجم مع قواعد التنزيه العقلي (الجويني، 1950، ص. 155).

وقد ظهر هذا التباين بوضوح بين منهج الباقلاني الذي مال إلى الإثبات مع التنزيه، ومنهج الرازي الذي توسع في التأويل العقلي, وأسهمت هذه المناظرات في تشكيل الاتجاهات المختلفة داخل الأشعرية المتأخرة (الرازي، 2004، ص. 84).

ثانياً: الخلاف في مسألة الكسب

إن نظرية الكسب تعد من أهم القضايا التي تميز بها المذهب الأشعري, وقد وضع أبو الحسن الأشعري هذه النظرية للتوفيق بين قدرة الله المطلقة ومسؤولية الإنسان عن أفعاله، إلا أن مفهوم الكسب نفسه أثار إشكالات عديدة بين الأشاعرة، فحاول كل من الباقلاني والجويني والغزالي تفسيره بطريقة مختلفة, وقد رأى بعض الباحثين أن هذه الاختلافات تعكس صعوبة الجمع بين الجبر والاختيار ضمن الإطار النظري للمذهب (صبحي، 1969، ج2، ص. 137), وقد أدت هذه المناقشات إلى ظهور تفسيرات متعددة للكسب، مما جعلها من أكثر القضايا تداولاً في المناظرات الأشعرية الداخلية.

ثالثاً: الخلاف في العلاقة بين العقل والنقل

إن قضية العلاقة بين العقل والنقل تمثل أحد أهم محاور الجدل داخل المدرسة الأشعرية، إذ سعى الباقلاني إلى تأكيد دور العقل في إثبات أصول العقيدة مع المحافظة على مركزية النص الشرعي، بينما وسّع الجويني من دائرة الاستدلال العقلي في بعض المسائل، أما الغزالي فقد حاول التوفيق بين العقل والنقل والفلسفة والتصوف، في حين بلغ الاعتماد على البرهان العقلي ذروته عند فخر الدين الرازي (الجويني، 1950، ص. 25؛ الغزالي، 1997، ص. 44), وقد أسهم هذا التطور في انتقال الأشعرية من مرحلة الدفاع العقدي التقليدي إلى مرحلة أكثر انفتاحاً على الفلسفة والمنطق، وهو ما انعكس على مؤلفات المتأخرين من علماء المذهب.

المطلب الثالث: مناظرات الماتريدية فيما بينهم

إن الماتريدية تعرف بدرجة عالية من الانسجام الفكري مقارنة بالمعتزلة، فإنها شهدت بدورها خلافات علمية داخلية في عدد من القضايا الكلامية المهمة.

أولاً: مسألة التحسين والتقبيح العقليين

إن موضوع التحسين والتقبيح العقليين يعد من أبرز المسائل التي ناقشها علماء الماتريدية , فقد ذهب جمهور الماتريدية إلى أن العقل يستطيع إدراك حسن بعض الأفعال وقبح بعضها قبل ورود الشرع، بينما اختلفوا في مدى ترتب الأحكام الشرعية على هذا الإدراك العقلي (النسفي، 1993، ص. 97).

وقد أدى هذا الاختلاف إلى ظهور تفسيرات متعددة للعلاقة بين العقل والشرع، وأسهم في تمييز الماتريدية عن الأشاعرة في هذا الباب.

ثانياً: مسألة التكليف بما لا يطاق

ناقش علماء الماتريدية قضية إمكان تكليف الإنسان بما يعجز عنه, فذهب بعضهم إلى استحالة ذلك عقلاً؛ لأن التكليف إنما يكون بما يدخل تحت قدرة المكلف، بينما ناقش آخرون المسألة من زاوية القدرة الإلهية المطلقة وما يترتب عليها من نتائج كلامية (أبو المعين النسفي، 2004، ج1، ص. 284).

وقد شكلت هذه القضية محوراً مهماً للجدل داخل المدرسة الماتريدية وأسهمت في تطوير تصوراتها المتعلقة بالعدل الإلهي.

ثالثاً: مسائل الإيمان وحقيقته

إن المدرسة الماتريدية شهدت أيضاً اختلافات في تحديد حقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال , وقد اتفق علماء الماتريدية على أن الإيمان أساسه التصديق، إلا أنهم اختلفوا في بعض التفاصيل المتعلقة بالإقرار والعمل وآثارهما العقدية، كما ظهرت تباينات في تفسير زيادة الإيمان ونقصانه (النسفي، 1993، ص. 121).

وقد أسهمت هذه المناقشات في بلورة المفهوم الماتريدي للإيمان وإبراز خصوصيته مقارنة بالمدارس الكلامية الأخرى.

المبحث الثالث: آثار المناظرات الكلامية بين أصحاب المذهب الواحد

إن المناظرات الكلامية التي دارت بين علماء المذهب الواحد تعد من الظواهر العلمية البارزة في تاريخ الفكر الإسلامي، إذ لم تكن مجرد نقاشات نظرية أو خلافات فكرية محدودة، بل شكلت عاملاً أساسياً في بناء المعرفة العقدية وتطوير المناهج الاستدلالية وإثراء التراث الإسلامي, وقد أسهمت هذه المناظرات في إنتاج حركة علمية واسعة النطاق امتدت آثارها إلى مختلف العلوم الإسلامية، كما كان لها دور مهم في بلورة المفاهيم العقدية وصياغة الرؤى الفكرية التي أثرت في مسيرة الحضارة الإسلامية عبر العصور ، ومن خلال دراسة تلك المناظرات يمكن الوقوف على جملة من الآثار العلمية والعقدية والحضارية التي تركتها في الفكر الإسلامي.

المطلب الأول: الآثار العلمية للمناظرات الكلامية

إن المناظرات الكلامية بين علماء المذهب الواحد أدت إلى نتائج علمية مهمة كان لها أثر بالغ في تطور العلوم الإسلامية عموماً وعلم الكلام خصوصاً، ويمكن إبراز أهم هذه الآثار فيما يأتي:

أولاً: إثراء المكتبة الإسلامية بالمؤلفات العلمية

إن من أبرز الآثار العلمية للمناظرات الكلامية أنها أسهمت في إثراء المكتبة الإسلامية بعدد كبير من المؤلفات التي كتبت دفاعاً عن الآراء الكلامية أو رداً على اعتراضات المخالفين داخل المذهب الواحد, فقد دفعت المناظرات العلماء إلى تدوين أفكارهم بصورة أكثر دقة وتنظيماً، مما أدى إلى ظهور مؤلفات متخصصة في العقيدة والجدل والمنطق وأصول الدين , فقد أنتجت الخلافات المعتزلية مؤلفات كثيرة تناولت مسائل الصفات والعدل الإلهي والنبوة والإمامة، كما أسهمت الخلافات الأشعرية في ظهور كتب مهمة مثل : الإرشاد للجويني والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي وأساس التقديس للرازي، وهي مؤلفات أصبحت فيما بعد من المصادر الأساسية في الدراسات العقدية (الجويني، 1950، ص. 15؛ الغزالي، 1997، ص. 9).

كما أدت هذه المناظرات إلى ظهور شروح وحواشٍ وتعليقات علمية متعددة، الأمر الذي أسهم في تراكم المعرفة وتوسيع دائرة البحث العلمي داخل المدارس الكلامية المختلفة (صبحي، 1969، ج2، ص. 210).

ثانياً: تنوع الأدلة والبراهين العقلية

كان من نتائج المناظرات الكلامية تطوير أدوات الاستدلال العقلي وتنويع الأدلة المستخدمة في إثبات القضايا العقدية, فكل فريق كان يسعى إلى تقوية موقفه العلمي من خلال تقديم براهين جديدة والرد على الاعتراضات التي يثيرها خصومه , وقد أدى ذلك إلى تطور كبير في مناهج الاستدلال وإثراء البحث العقلي، حيث انتقل المتكلمون من الأدلة البسيطة إلى بناء منظومات استدلالية معقدة تعتمد على المنطق والتحليل الفلسفي, وأسهم هذا التنوع في تعزيز القدرة على مواجهة الشبهات الفكرية التي كانت تثار ضد العقيدة الإسلامية (الرازي، 2004، ص. 65).

كما أدى تعدد وجهات النظر داخل المذهب الواحد إلى فحص الأدلة بصورة أكثر دقة، مما ساعد على اكتشاف مواطن القوة والضعف في مختلف البراهين العقدية، وأسهم في رفع المستوى العلمي للبحث الكلامي.

ثالثاً: تطوير المصطلحات والمفاهيم الكلامية

أسهمت المناظرات الكلامية في تطوير المصطلحات العلمية وتحديد معانيها بصورة أكثر دقة, فمع اتساع دائرة النقاشات الفكرية ظهرت الحاجة إلى وضع تعريفات دقيقة للمفاهيم العقدية والفلسفية، الأمر الذي أدى إلى نشوء جهاز اصطلاحي متكامل في علم الكلام, ومن أبرز المصطلحات التي شهدت تطوراً ملحوظاً نتيجة المناظرات: الجوهر والعرض، الكسب، الحال، التحسين والتقبيح العقليان، القدرة، الإرادة، العلة، وغيرها من المفاهيم التي أصبحت فيما بعد جزءاً أساسياً من التراث الكلامي الإسلامي (الشهرستاني، 2006، ج1، ص. 32).

وقد ساعدت هذه العملية في ضبط المفاهيم العلمية وتقليل الغموض الاصطلاحي، مما انعكس إيجاباً على جودة البحث العقدي وعمقه المعرفي.

رابعاً: تنمية المنهج النقدي في البحث العلمي

إن من الآثار العلمية المهمة أيضاً أن المناظرات الكلامية أسهمت في ترسيخ المنهج النقدي داخل البيئة العلمية الإسلامية، فقد اعتاد العلماء من خلال هذه المناظرات على فحص الأقوال وتحليل الأدلة ومناقشة الاعتراضات، وهو ما أدى إلى تعزيز روح النقد العلمي القائم على البرهان والحجة, ولم يقتصر هذا الأثر على علم الكلام فقط، بل امتد إلى علوم أخرى كأصول الفقه والتفسير والفلسفة الإسلامية، إذ استفادت هذه العلوم من المناهج التحليلية التي طورها المتكلمون (صبحي، 1969، ج1، ص. 74).

المطلب الثاني: الآثار العقدية للمناظرات الكلامية

إن نتائج المناظرات الكلامية لم تقتصر على الجانب العلمي والمنهجي، بل امتدت آثارها إلى البناء العقدي للمذاهب الإسلامية، حيث أسهمت في إعادة صياغة كثير من المفاهيم والأصول العقدية.

أولاً: ظهور اتجاهات فرعية داخل المذهب الواحد

إن المناظرات الكلامية أدت إلى ظهور مدارس واتجاهات فرعية داخل المذهب الواحد. فقد انقسم المعتزلة إلى مدارس متعددة مثل البصرية والبغدادية والبهشمية، كما ظهرت داخل الأشعرية اتجاهات متنوعة في التعامل مع قضايا الصفات والعلاقة بين العقل والنقل, كما ساعد هذا التنوع على توسيع دائرة الاجتهاد العقدي وإثراء النقاشات الفكرية، كما أوجد بيئة علمية قادرة على استيعاب الاختلافات الداخلية دون الخروج عن الأصول العامة للمذهب (البغدادي، 2007، ص. 143).

ثانياً: إعادة صياغة القضايا العقدية

إن المناظرات العلماء دفعت إلى إعادة النظر في كثير من القضايا العقدية وصياغتها بأساليب أكثر دقة ووضوحاً. فعندما كانت تُثار الاعتراضات على رأي معين، كان أصحاب ذلك الرأي يعملون على تطوير أدلتهم وإعادة تنظيم أفكارهم لتكون أكثر قدرة على الإقناع, وقد ظهر ذلك بوضوح في تطور النظرية الأشعرية المتعلقة بالكسب، وفي الجدل المعتزلي حول الأحوال، وكذلك في المناقشات الماتريدية المتعلقة بالإيمان والتحسين والتقبيح العقليين (النسفي، 1993، ص. 102).

وأدى هذا التطور إلى نضج الفكر العقدي الإسلامي وازدياد قدرته على التعامل مع الإشكالات الفكرية المعقدة.

ثالثاً: تعميق البحث في أصول الاعتقاد

إن المناظرات الكلامية أسهمت في توسيع دائرة البحث العقدي وتعميق دراسة أصول الاعتقاد, فبسبب كثرة المناقشات والاعتراضات ظهرت الحاجة إلى دراسة المسائل العقدية بصورة أكثر تفصيلاً ودقة, وقد نتج عن ذلك ظهور مباحث عقدية جديدة وتوسيع المباحث القديمة، كما ازدادت العناية بقضايا الألوهية والنبوات والسمعيات وصفات الله تعالى وأفعال العباد وغيرها من القضايا المركزية في علم الكلام (القاضي عبد الجبار، 1965، ص. 89).

رابعاً: تحرير محل النزاع وتدقيق المفاهيم العقدية

إن من أهم النتائج العقدية للمناظرات الكلامية أنها ساعدت على تحديد مواضع الخلاف الحقيقية بين العلماء، والتمييز بين الخلاف اللفظي والخلاف الحقيقي, وقد أدى ذلك إلى إزالة كثير من صور الالتباس وسوء الفهم، كما ساعد على تقريب وجهات النظر في بعض المسائل التي تبين أن الخلاف فيها راجع إلى اختلاف المصطلحات لا إلى اختلاف المعاني (الآمدي، 2003، ج1، ص. 56).

المطلب الثالث: الآثار الحضارية والفكرية للمناظرات الكلامية

إن للمناظرات الكلامية أثر واسع في الحياة الفكرية والحضارية للأمة الإسلامية، إذ تجاوز تأثيرها حدود البحث العقدي إلى مجالات الثقافة والفكر والحضارة.

أولاً: تنشيط الحركة العلمية

أسهمت المناظرات الكلامية في إيجاد بيئة علمية نشطة قائمة على الحوار والبحث والنقاش. فقد كانت حلقات المناظرة مجالس علمية تجمع كبار العلماء والطلاب، مما أدى إلى انتشار الثقافة العلمية وتعزيز الاهتمام بالمعرفة, وقد شهدت العديد من المدن الإسلامية الكبرى مثل: بغداد والبصرة ودمشق وسمرقند نشاطاً علمياً واسعاً ارتبط بصورة مباشرة بالمناظرات الكلامية التي كانت تعقد في المساجد والمدارس ومجالس العلماء (الشهرستاني، 2006، ج1، ص. 49).

ثانياً: تنمية التفكير النقدي والعقلي

ساعدت المناظرات على ترسيخ ثقافة التفكير العقلي والنقد المنهجي داخل المجتمع العلمي الإسلامي. فقد اعتاد المتكلمون على تحليل الأدلة واختبار الفرضيات والرد على الاعتراضات، مما أسهم في تنمية مهارات التفكير المنطقي والنقدي, وقد انعكس هذا الأثر على العلوم الإسلامية المختلفة، كما ساعد على تكوين عقلية علمية قادرة على التعامل مع الإشكالات الفكرية والفلسفية المعقدة (الغزالي، 1997، ص. 113).

ثالثاً: مواجهة الشبهات الفكرية والدفاع عن العقيدة

كانت المناظرات الكلامية من أهم الوسائل التي استخدمها علماء المسلمين في مواجهة الشبهات الفكرية والفلسفية التي ظهرت نتيجة الاحتكاك بالحضارات والثقافات الأخرى, وقد ساعدت هذه المناظرات على تطوير الأدلة الدفاعية عن العقيدة الإسلامية، كما أسهمت في تحصين المجتمع الإسلامي ضد التيارات الفكرية التي كانت تستهدف التشكيك في أصول الدين (الرازي، 2004، ص. 124).

رابعاً: الإسهام في تشكيل التراث الحضاري الإسلامي

لم يقتصر أثر المناظرات على علم الكلام وحده، بل امتد إلى الفلسفة والمنطق وأصول الفقه والعلوم الإنسانية المختلفة. فقد استفادت هذه العلوم من المناهج التحليلية والجدلية التي طورها المتكلمون خلال مناظراتهم, ولذلك يمكن القول إن المناظرات الكلامية كانت أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في تشكيل التراث الفكري والحضاري الإسلامي، وأسهمت في بناء منظومة معرفية متكاملة كان لها أثر بارز في تاريخ الحضارة الإسلامية (صبحي، 1969، ج2، ص. 235).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد تناول هذا البحث موضوع (اختلاف علماء الكلام في مناظرات أصحاب المذهب الواحد)، بوصفه أحد الموضوعات المهمة في الدراسات العقدية والفكرية؛ لما يكشف عنه من طبيعة التفاعل العلمي داخل المدارس الكلامية الإسلامية:

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

١. إن الاختلاف بين علماء الكلام داخل المذهب الواحد يُعد ظاهرة علمية طبيعية صاحبت نشأة علم الكلام وتطوره، وهو نتيجة حتمية لتفاوت القدرات الاجتهادية واختلاف المناهج الفكرية بين العلماء.
٢. إن المناظرات الكلامية الداخلية أسهمت بصورة واضحة في تطوير المذاهب العقدية الإسلامية، من خلال إعادة صياغة العديد من القضايا العقدية وتوسيع دائرة البحث فيها.
٣. إن أسباب الاختلاف بين علماء الكلام تعود إلى عوامل متعددة، من أهمها اختلاف المناهج الاستدلالية، وتفاوت المدارك العقلية، والتأثر بالبيئات الفكرية والثقافية المختلفة.
٤. إن هذه المناظرات كان لها دور كبير في إثراء التراث الإسلامي، سواء من خلال تنوع المؤلفات الكلامية أو من خلال تطوير المصطلحات والمفاهيم العلمية وأساليب الاستدلال العقلي.
٥. إن الخلاف الداخلي بين علماء المذهب الواحد لم يؤدِّ في الغالب إلى الانفصال الكامل عن أصول المذهب، بل ظل ضمن دائرة الاجتهاد العلمي المقبول الذي أسهم في نمو المذهب وتطوره.

٦. إن المناظرات الكلامية أسهمت في تنمية التفكير النقدي وترسيخ ثقافة الحوار العلمي القائم على البرهان والدليل، مما كان له أثر إيجابي في تطور الحياة الفكرية في الحضارة الإسلامية.
٧. إن دراسة الخلافات الداخلية بين علماء الكلام تكشف عن مستوى عالٍ من الحيوية العلمية التي تميز بها التراث الإسلامي، وتؤكد أن الاختلاف المنضبط بالقواعد العلمية كان عاملاً من عوامل الإبداع والتجديد الفكري.

وفي ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

١. إن العناية بدراسة المناظرات الكلامية الداخلية دراسة علمية تحليلية؛ لما تحمله من قيمة معرفية ومنهجية في فهم تطور الفكر العقدي الإسلامي.
٢. تشجيع الدراسات المقارنة بين المدارس الكلامية المختلفة لإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف وأثرها في بناء التراث الإسلامي.
٣. الاهتمام بتحقيق ونشر المخطوطات الكلامية التي تتناول المناظرات والخلافات الداخلية بين العلماء؛ لما تمثله من مصدر مهم للباحثين في العقيدة والفكر الإسلامي.
٤.

References

- ابن حزم، أ. م .(1983) .*الأخلاق والسير في مداواة النفوس* (ط. 2). بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- أبو المعين النسفي، م. م .(2004) .*تبصرة الأدلة في أصول الدين* (تحقيق حسين آيت سعيد). القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.
- أبو المعين النسفي، ميمون بن محمد .(2004) .*تبصرة الأدلة في أصول الدين* .القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.
- الأشعري، أ. ح. (2005). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ط. 3). القاهرة: مكتبة النهضة.
- الآمدي، سيف الدين .(2003) .*أبكار الأفكار في أصول الدين* .القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.
- البغدادي، عبد القاهر .(2007) .*الفرق بين الفرق* .بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجرجاني، ع. ب .(1983) .*التعريفات* .بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجويني، ع. ا .(1950) .*الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد* .القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الجويني، ع. ا. (1995). الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله .(1950) .*الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد* .القاهرة: مكتبة الخانجي.
- الرازي، ف. ا .(1986) .*المحصول في علم أصول الفقه* .بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الرازي، ف. ا .(2004) .*أساس التقديس* .القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- السامرائي، ط. خ. (2006). مسائل الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم .(2006) .*الملل والنحل* .بيروت: دار المعرفة.
- صبحي، أحمد محمود .(1969) .*في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين* (ج1–2). بيروت: دار النهضة العربية.
- الغزالي، م. م .(1993) .*المستصفى من علم الأصول* .بيروت: دار الكتبالعلمية.
- الغزالي، م. م .(1997) .*الاقتصاد في الاعتقاد* .بيروت: دار الكتب العلمية.
- الغزالي، محمد بن محمد .(1997) .*الاقتصاد في الاعتقاد* .بيروت: دار الكتب العلمية.
- القاضي عبد الجبار .(1965) .*شرح الأصول الخمسة* .القاهرة: مكتبة وهبة.
- النسفي، نجم الدين عمر .(1993) .*العقائد النسفية* .بيروت: دار النفائس.